فى انه الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا منهاجه فى كتاب العزلة فليفهم هذا منه فان
السفر نوع مخالطة مع زيادة نصب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب فى حق الاكثرين
والافضل ما هو الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين فى الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس
بذكر الله والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر
والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين علما لتعلم فى الابتداء والاقامة هى المعينة على العمل
بالمتعلم فى الانتهاء واما السياحة فى الارض على الدوام فمن المشوشات للقلب الا فى حق القلب صح
الاقوياء فالمسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول الهم تارة بالخوف
على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده فى اقامته وان لم يكن معه مال يخاف
عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة
يقوى باستحكام اسباب الطمع ثم شغل الحط والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا
ينبغى ان يسافر المريد الا لطلب علم او مشاهدة شيخ يقتدى به فى سيرته ويستفاد
الرغبة فى الخير من مشاهدته فان استقل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر والعمل
فالسكون اولى به الا ان اكثر متصوفة هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف
الافكار ودقائق الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله تعالى وبذكره فى الخلوة وكانوا
بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد الفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب
واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم فى البلاد واستسخروا الخدم
المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وادیانهم من حيث لم يكن قصدهم من
الخدمة الا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الاموال بطريق السؤال تعللا بكثرة
الاتباع فلم يكن لهم فى الخانقاهات حكم نافذ ولا تاديب للمسافرين نافع ولا حجر عليهم
قاهر فلبسوا المرقعات واتخذوا من الخانقاهات متنزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة
من الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم فى خرقتهم وفى سياحتهم وفى
لفظهم وعباراتهم وفى اداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون ان كل
سوداء تمرة ويزعمون ان المشاركة فى الظاهر توجب المساهمة فى الحقائق وهيهات فما اغزر
حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فان الله يبغض الشاب
الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج او عمرة
من غير رياء ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به فى علمه وسيرته وقد
خلت البلاد عنه الان والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف
فانه قد انمحق بالكلية وبطل لان العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم
سوء فانما فساده فى سيرته لا فى علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم

واما التصوف فانه عبارة عن تجرد القلب لله واستحقار ما سوى الله وحاصله
يرجع الى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الاصل وفى اسفار هؤلاء
نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب نفس بلا فائدة وقد يقال ان ذلك ممنوع ولكن
الصواب عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة
البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين ايضا بهذه
الحظوظ ايضا خسيسة ولا باس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق
به ويعود اليه فهو المتاذى والفتوى تقتضى تسييب العوام فى المباحات التى
لا نفع فيها ولا ضرر فالسياحون من غير مهم فى الدين والدنيا بل لمحض التفرج فى البلاد
كالبهائم المترددة فى الصحارى فلا باس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم
ولم يلبسوا على الخلق حالهم وانما عصيانهم فى التلبيس والسؤال على اسم
التصوف والاكل من الاوقاف التى وقفت على الصوفية لان الصوفى عبارة عن
رجل صالح عدل فى دينه مع صفات اخرى وراء الصلاح ومن اقل احوال هؤلاء
اكلهم اموال السلاطين واكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه عدالة
والصلاح فلو تصور صوفى فاسق لتصور صوفى كافر وفقيه يهودى وكما ان
الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفى عبارة عن عدل مخصوص لا تقتصر فى
دينه على القدر الذى يحصل به العدالة وكذلك من نظر الى ظواهرهم
ولم يعرف بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل التقرب الى الله حرم عليهم
الاخذ وكان ما اكلوه سحتا واعنى به اذا كان المعطى بحيث لو عرف بواطن
احوالهم ما اعطاهم واخذ المال باظهار التصوف من غير اتصاف
بحقيقته كاخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على سبيل الدعوى من زعم انه علوى وهو كاذب فاعطاه مسلم مالا
لحب اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو علم انه كاذب لم يعطه شيئا
فاخذه عليه حرام وكذلك الصوفى ولهذا احترز المحتاطون عن الاكل
بالدين فان المبالغ فى الاحتياط لدينه لا ينفك فى باطنه عن عورات لو
انكشف للراغب فى مواساته لفترت رغبته عن المواساة فلا جرم كانوا
لا يشترون بانفسهم مخافة ان يسامحوا لاجل دينهم فيكونوا اكلين بالدين
وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل ان لا يظهر انه لمن يشتريه نعم انما
يحل اخذ ما يعطى لاجل الدين اذا كان الاخذ بحيث لو علم المعطى من باطنه
ما يعلمه الله لم يقتض ذلك فتورا فى رايه فيه والعاقل المنصف يعلم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)